

تحت نير الاستعمار: كيف تشكلت العلاقات الاجتماعية بين الجزائريين والمستوطنين؟

Under the yoke of colonialism: How were social relations
formed between Algerians and settlers?

ط د بورزق وردة¹ ، مصطفى سعداوي²

¹ جامعة ألكلي محمد الحاج / الجزائر ، o.bourezg@univ-bouira.

² salisada@gmail ، جامعة ألكلي محمد الحاج / الجزائر ،

مخبر التاريخ المحلي والذاكرة الجماعية والمقاربات الجديدة

تاريخ الإرسال: 2025/02/08	تاريخ القبول: 2025/06/03	تاريخ النشر: 2025/06/30
---------------------------	--------------------------	-------------------------

الملخص:

عرفت الجزائر بعد دخول الجيش الفرنسي وتوقيع معاهدة الاستسلام سنة 1830 تدفقا واسعا للمستوطنين الأوروبيين ، خاصة وأن الحكومة الفرنسية حرصت على تشجيع شعبها على الهجرة إلى الجزائر بهدف تكوين مجتمع قادر على السيطرة اجتماعيا. اتسمت العلاقات الاجتماعية بين الجزائريين والمستوطنين الفرنسيين بالتوتر والصراع العميق نتيجة فرض فرنسا سياسات استعمارية تهدف إلى السيطرة على الأراضي والموارد وتسخيرها لخدمة الكولون ، مما أدى إلى تهيش الجزائريين اجتماعيا واقتصاديا ، رغم بعض التفاعلات المحدودة في المجالات الاقتصادية والخدمية. لم تكن هذه الفجوة الاجتماعية مجرد نتيجة للاحتلال ، بل كانت وقودا للغضب والتمرد الشعبي الذي اشتعل في النفوس الجزائرية ، وانتهى بثورة تحريرية أطاحت بالظلم ، معلنة استقلال الجزائر. الكلمات المفتاحية: الاحتلال الفرنسي ؛ الجزائريون ؛ المستوطنون ؛ التمييز الاجتماعي ؛ الاستقلال.

Abstract:

Following the arrival of the French army and the ratification of the capitulation treaty in 1830, Algeria experienced a large influx of European settlers., as the French government actively promoted migration to Algeria to establish a society capable of enforcing social control.

◆ المؤلف المرسل

Social relations between the Algerians and the French settlers were marked by tension and deep conflict due to France's colonial policies aimed at controlling land and resources to serve the colonizers. This led to the social and economic marginalization of the Algerians, despite some limited interactions in economic and service sectors.

The class difference was not solely a result of the occupation; it served as the catalyst for resentment and popular insurrection among the Algerians, ultimately leading to a liberation revolution that dismantled oppression and proclaimed Algeria's independence.

Keywords: French occupation; Algerians; settlers; social discrimination; independence.

مقدمة:

على مدار أكثر من قرن ، عاش الشعب الجزائري تحت وطأة الاحتلال الفرنسي الذي لم يكن مجرد غزو عسكري فحسب ، بل منظومة استعمارية سعت إلى القضاء على الهوية الجزائرية. في هذه الحقبة تبلورت علاقات اجتماعية مشحونة بين الجزائريين والمستوطنين الفرنسيين ، علاقات اتسمت بالتمييز والاستغلال ساهمت في اشغال فتيل الثورة التي غيرت مجرى تاريخ الجزائر ، ولم يكن هذا التفاعل الاجتماعي مجرد تفصيل في حياة الجزائريين ، بل كان أحد العوامل الأساسية في تشكيل وعيهم الوطني. انطلاقاً مما سبق ، يسعى بحثنا للإجابة على الإشكالية التالية:

- ماهي طبيعة العلاقات الاجتماعية بين الجزائريين أصحاب الأرض والمستوطنين القادمين من ما وراء البحار في ظل التفاوتات السياسية والاقتصادية خلال الحقبة الاستعمارية؟

يسعى هذا البحث الى تقديم رؤية شاملة لطبيعة العلاقات الاجتماعية بين الجزائريين والمستوطنين ، مسلطاً الضوء على مظاهر التمييز العنصري وآثاره العميقة في المجتمع الجزائري ، وكذلك دوره في تغذية حركة التحرر الوطني. يختلف منهج البحث المتبع من دراسة الى أخرى تبعا للإشكاليات المطروحة. وبالنظر إلى أهمية التكامل المنهجي في البحث العلمي وبالأخص في المجال التاريخي ، وبحكم طبيعة الإشكالية المطروحة هاهنا ، لم يكن بدّ من الاستخدام المنسق لعدة مناهج في هذه الدراسة ، أبرزها:

- المنهج التاريخي: من خلال تتبع الوقائع في سياقها الزمني وتحليلها ضمن إطارها الاجتماعي والسياسي مع الاستعانة بالمنهج السوسيولوجي لفهم البنية الاجتماعية، والمنهج النفسي لتحليل الآثار النفسية التي خلفها هذا التعايش القسري على الطرفين.
- المنهج التحليلي بغية تحليل المادة العلمية (الوثائقية)، ومن ثم التعرف على دقائق وجلائل واقع العلاقات الاجتماعية في الجزائر المستعمرة
- المنهج المقارن الذي لا بديل عنه لعقد المقارنة التي تعد لبّ هذا العمل، وذلك بين الأوضاع الاجتماعية والمعيشية للكتلة الجزائرية المسلمة وكتلة المستوطنين الأوروبيين
- المنهج التركيبي وهو أكثر من ضروري لتجاوز مجرد معرفة الوقائع والأحداث إلى فهم دلالاتها ومعانيها العميقة.

1-المستوطنون الأوروبيون:

1.1-تعريف مصطلح المستوطنين الأوروبيين:

عرف المستوطنون الأوروبيون الذين عاشوا في الجزائر بأكثر من تسمية يميزها التضارب والاختلاف، لأنه لا وجود لأقلية واحدة بل هناك أقليات متعددة. وقد عوّدت الإدارة الاستعمارية الناس على كلمات معينة مثل: فرنسيين أصليين، أوروبيين، فرنسيين غير مسلمين، الأقدام السوداء... إلخ. الأمر الذي يقتضي منا توضيح هذه المصطلحات وبيان العلاقات التاريخية التي تربطها، وترتيب هذه التسميات ترتيباً كرونولوجياً. ومنه يعتبر مصطلح "فرنسيو الجزائر" أقدم تسمية عرف بها المستوطنون الأوروبيون للتفريق بين "فرنسي الجزائر" وبين الفرنسيين الذين يعيشون في مناطق أخرى.¹

ثم انتشرت تسمية "الأقدام السوداء" (Les Pieds Noirs)، حيث يذكر المؤرخ كسافي ياكونو (Xavier Yacono) أن مصطلح الأقدام السوداء شاع استخدامه منذ عام 1954. يُرجع البعض هذا المصطلح إلى الأحذية السوداء التي كان المهاجرون الأوائل يلبسونها، وهناك من يرجعه إلى مزارعي العنب الذين تلطخت أرجلهم بنبذ العنب المائل إلى السواد.² وهناك من ينسبه إلى العساكر التي جاءت أثناء الحملة الفرنسية سنة 1830 مرتدية أحذية طويلة سوداء.³

1 J. Hureau, La mémoire de pieds noirs, Édition Orban, Paris, 1987, p. 89

2 شرفي عاشور، قاموس الثورة الجزائرية (1954-1962)، دار القصة للنشر، 2007، ص 43.

3 Benjamin Stora, Histoire de l'Algérie coloniale, Édition La Découverte, Paris, 1994, p. 29.

وبغض النظر عن الأصل التاريخي لمصطلح "مستوطن أوروبي" فإن المستوطنين الأوروبيين -عملياً- هم أولئك الذين استحوذوا على ثروات البلاد، وسيطروا على دواليب الحكم فيها، وسعوا إلى جعل الجزائر فرنسية إلى الأبد

2.1 مراحل استقرار المستوطنين الأوروبيين بالجزائر:

يرتبط تاريخ الاستعمار الأوروبي في الجزائر ارتباطاً وثيقاً بعملية الاحتلال التي بدأت في صيف سنة 1830م. وإذا تطرقنا سريعاً إلى تاريخ استيطان الأوروبيين أو بداية هجرتهم إليها، نلاحظ أن أعدادهم كانت في تزايد مستمر حتى عام 1936، ثم بدأت في التراجع بعد هذا التاريخ لأسباب سياسية.

استقر هؤلاء المهاجرون الجدد في الجزائر، وكان أغلبهم من فرنسا، إسبانيا، إيطاليا، مالطا، ألمانيا، وسويسرا. وقد أدى ذلك إلى تشكيل مجتمع أوروبي متنوع، يتألف من مختلف أجناس القارة الأوروبية ذات ثقافات ومعتقدات متنوعة. إن هذا المجتمع يشبه إلى حد كبير المجموعات الأوروبية التي هاجرت إلى القارة الأمريكية بعد اكتشافها عام 1492، من حيث الأفكار والسياسة وأساليب الحياة. والجدير بالذكر أن الجزائر كانت الدولة الوحيدة في شمال إفريقيا التي استقبلت أكبر نسبة من الأوروبيين.⁴ وقد مرت عملية استيطان الأوروبيين في الجزائر بأربع مراحل:

1.2.1 المرحلة الأولى (1830-1851):

تتميز هذه الفترة بالهجرة الأوروبية الكبيرة، خاصة مع ظهور مراكز الاستعمار والتنمية مثل مركز "بوفاريك" في العاصمة. حيث ارتبطت هذه الهجرة بقضية مصادرة الأراضي وحسب الإحصائيات سنة 1851، فإن عدد الأوروبيين في الجزائر سنة 1831 كان حوالي 3228 أوروبياً، ليصل العدد إلى 7800 شخصاً بعد سنتين، ثم يرتفع إلى 100 ألف أوروبياً سنة 1847 بسبب الاستقرار الفعلي، وتراجع مقاومة الأمير عبد القادر، ووجود الحوافز والإغراءات المادية.

وكان المارشال "بيجو" Général Bugeaud مقتنعاً بالسياسة الحقيقية للاستعمار، لذلك بدأ في تطويرها. وفي هذا السياق، يقول "المارشال بيجو" عن سياسة الاستيطان: "... إن الذين لم يستطيعوا أداء واجباتهم في فرنسا قد جاؤوا إلى الجزائر بحثاً عن الثروة، إننا بحاجة إلى عمال وفلاحين لهذه الأرض."⁵ ومن بين الأوروبيين كان هناك أكثر من

4 Marcel Larnaud, Algérie, 1ère édition, Édition Berger-Levrault, Paris, France, 1950, p. 104.

5 Jacques Briel, Étude de démographie quantitative, Rapport du H.C.C., tome 2, La population en Algérie, Document français, 1^{re} édition, Imprimerie Nationale, Paris, France, 1957, pp. 24-25.

47000 فرنسا ، و 63000 غير فرنسي ، منهم 31000 إسبانيا ، و 8700 مالطيا ، و 8500 إيطاليا ، و 8600 مستوطنا ألمانيا وسويسريا.⁶ أما اليهود ، فإن الإحصاء الذي أجري خلال الفترة (1872-1830) لم يدرجهم ضمن فئة السكان الأوروبيين ، لكن التقديرات تشير إلى أن عددهم تجاوز 21000 نسمة في سنة 1851. ويعود أصلهم إلى اليهود الذين هاجروا إلى الجزائر في العصور القديمة من فلسطين وأوروبا... وإلى الذين طُردوا من الأندلس بعد سقوط غرناطة سنة 1492.⁷ واستمرت عملية الهجرة بقوة متزايدة ، حتى فاقت الأعداد كل التوقعات ، خاصة وأن الجمهورية الفرنسية الثانية شجعت هذه الهجرة ، فأرسلت آلاف المستوطنين الجدد بهدف التخلص من مائة ألف عامل عاطل عن العمل في الورشات الفرنسية في باريس. كما ساهمت الأحداث التي شهدتها باريس في عام 1848 ، مثل ثورة يونيو ، في زيادة أعداد المهاجرين الأوروبيين ، مما أدى إلى زيادة عددهم في الفترة بين عامي 1849 و 1850 ليصل إلى أكثر من 20500 مهاجر h ، استقروا في 42 قرية زراعية ريفية⁸

2-2.1 المرحلة الثانية (1851-1872):

في هذه المرحلة ، شهدت الجزائر زيادة قدرها 15 ألف شخص ، بالإضافة إلى حوالي 100 ألف أوروبي جديد نتيجة المشاريع الاستعمارية الكبرى التي ظهرت في تلك الفترة في الجزائر ، مثل: شق الطرق ، مشاريع السكك الحديدية ، فتح الموانئ ، وبناء مباني على الطراز الأوروبي لصالح المهاجرين. وقد تطلبت هذه المشاريع كفاءات متخصصة من الأوروبيين. وفي هذا السياق ، أظهر إحصاء عام 1872 وجود أكثر من 145 ألف أوروبي في الجزائر⁹. وبعد الحرب الفرنسية البروسية مباشرة ، تم نقل حوالي 125 ألف مهاجر جديد إلى الجزائر¹⁰.

. كما حصل اليهود على حق الجنسية الجزائرية في هذه المرحلة ، بفضل قانون تجنيس اليهود الذي أصدره وزير العدل الفرنسي من أصل يهودي ، «كريميو» ، في 24 أكتوبر 1870 ، والذي دخل حيز التنفيذ في بداية عام 1871 ، مما جعل اليهود مؤهلين للحصول على الجنسية الفرنسية بكل سهولة.

3.2.1 المرحلة الثالثة (1872-1900):

6 R.C. Llamo, Euralgérie, 1^{re} édition, Paris, France, p. 7

7 J., op. cit. p. 29

8 Charles-Robert Ageron, Français, juifs et musulmans, L'Union impossible, in L'Histoire, n° 140, janvier 1991, Paris, France, p. 53

9 J. Breil, op. cit., p. 26.

10 C.R. Ageron, op. cit., p. 53

شهدت الجزائر تدفقاً كبيراً للمهاجرين خلال هذه الفترة ، إذ وصل أكثر من 336985 مهاجراً جديداً إلى الجزائر في الفترة الممتدة من سنة 1870 إلى سنة 1900.¹¹ وبدأ أغلب المهاجرين الآخرين من غير الفرنسيين بالاندماج في المجتمع الفرنسي بعد أن مُنحوا حق التجنس بالجنسية الفرنسية بموجب قانون 26 جوان 1889 ، الذي منح الحق في الجنسية الفرنسية لجميع الأطفال الأوروبيين المولودين في الجزائر دون أي شروط أو قيود.¹² خاصة في ظل تحفيز الحكومة الفرنسية للمستوطنين الأوروبيين من خلال توفير أراضي زراعية بأسعار رخيصة في المناطق الساحلية والسهول الخصبة ، إضافة إلى الأزمة الزراعية التي شهدتها فرنسا في هذه الفترة مما دفع بالكثير من الفلاحين الفرنسيين بالبحث عن فرص جديدة في الجزائر .

4.2.1 المرحلة الرابعة (1900-1954):

شهدت هذه الفترة التي امتدت على مدى القرن العشرين — أي حتى اندلاع الثورة التحريرية — تدفقاً جديداً للمهاجرين ، وخاصة خلال الفترة الممتدة من 1901 إلى 1948 ، ورغم اندلاع الحربين العالميتين عرفت هذه المرحلة هجرة أكثر من 800 ألف شخص أوروبي إلى الجزائر ، معظمهم من الفرنسيين ، وبذلك ارتفع عدد الأوروبيين في الجزائر بأكثر من 300 ألف نسمة ، وهذا ينعكس أيضاً على عدد المواليد.¹³ وعلى هذا الأساس سيطر السكان الأوروبيون على المجتمع على أساس أنهم من كوادرات الجزائر بنسبة 92.8% وتشير بعض الإحصائيات إلى أن نحو 560000 شخصاً برجوازيًا كان من هذه الفئة. وفي سنة 1954م سنة اندلاع الثورة التحريرية ، بلغ عددهم 1042500 شخص أوروبي.

1.3- التطور الديمغرافي للمستوطنين الأوروبيين:

شهد التزايد الديمغرافي للأوروبيين تطوراً كبيراً نتيجة خوف المستوطنين من الوقوع تحت سيطرة الجزائريين ، والاندماج في مجتمعهم وذلك لأنهم كانوا يدركون أن التفوق الديمغرافي له آثاره ، وبالتالي أصبحت الزيادة في نسبهم ضرورة ملحة بالنسبة لهم

11 René Gendarme, L'économie de l'Algérie : sous-développement et politique de croissance, 1^{re} édition, Les Capucines, Paris, France, 1960, p. 16.

12 ALBAERTINI (E), MARCAIN (G), YVER (G), PRIGENT (E), French North Africa in History, Archat Edition, Lyon, France, p. 299

13 BREIL, J, op. cit., p. 27

لمواجهة التطور الكمي للجزائريين ، خاصة وأن المستوطنين بدأوا يعلنون أن الجزائر لم تعد قادرة على تحمل هذا الحشد المتزايد من المواليد بين الجزائريين الذين سيسيطرون على الوضع فيما بعد إذا استمروا بهذا المعدل من الزيادة الكمية¹⁴ ومن هنا كان واضحاً أن زيادة عدد الأوروبيين سواء من خلال الهجرة أو الزيادة الطبيعية كانت أمراً حيوياً بالنسبة لهم ، على سبيل المثال نجد أن عدد الأوروبيين وصل إلى نحو 180.330 نسمة عام 1856 وتجاوز المليون نسمة عام 1954 ، حيث بلغت الزيادة خلال هذه الفترة 860 ألف نسمة.

استوطن أغلب السكان الأوروبيين في الجزائر في المدن الكبرى والمناطق الساحلية ، حيث كان أكثر من 80% منهم يعيشون في هذه المدن. حيث بلغ عدد الأوروبيين المقيمين في البلديات المختلطة حوالي 36200 ، بينما كان نحو 13000 منهم في المناطق الصحراوية. وقد زاد عدد الأوروبيين بشكل كبير سواء بسبب الهجرة المتقطعة أو الزيادة الطبيعية.¹⁵

كان الأوروبيون يعيشون في المدن في عام 1948 ، وزاد عددهم قليلاً بحلول عام 1954 ، ليصل إلى 760 ألف أوروبي. وإذا قمنا بتوزيع هؤلاء السكان على المناطق الحضرية الرئيسية في الجزائر ، نجد أن مدينتي الجزائر وهران تضمان أكبر عدد منهم. ففي مدينة الجزائر كان بها أكثر من 248 ألف مقيم أوروبي سنة 1948 ، وارتفع عددهم إلى 277 ألف أوروبي سنة 1954. أما وهران فكان بها حوالي 174 ألف أوروبي سنة 1948 ، وارتفع هذا العدد إلى 181 ألف أوروبي سنة 1954. بينما كان عدد الأوروبيين في منطقة عنابة حوالي 45 ألف أوروبي سنة 1948 ، وارتفع هذا العدد إلى 46 ألف أوروبي بعد ست سنوات. وأما منطقة قسنطينة فلم يتجاوز عدد الأوروبيين فيها 37 ألفاً سنة 1948 ، ثم 41 ألفاً سنة 1949.¹⁶

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه بعد الحرب العالمية الثانية ، بدأت البلديات الحضرية تشهد زيادة نسبية في عدد الجزائريين على حساب المستوطنين. وحسب التحقيق الذي يحمل عنوان "الجزائر في نصف قرن " ، الذي أجري سنة 1952 استناداً إلى تقارير رؤساء البلديات الحضرية ، فإن السلطات المحلية دقت ناقوس الخطر بشأن ضعف الحضور

14 ALGERIA, Some Aspects of Economic and Social Issues, edited under the instruction of Robert Lacoste, Official Printing, Algiers, 1956, p. 12..

15 C.R. Ageron, op. cit.p54,

16. BREIL, J, op. cit., pp. 38-39 .

الأوروبي في المناطق الريفية بسبب الانخفاض السريع والمستمر للأوروبيين في المناطق المذكورة وبعد أن كان عدد الأوروبيين في عام 1901 في هذه البلديات والتي تضم 46 بلدية حضرية تتجاوز 472000 أوروبي انخفض إلى 125000 نسمة من السكان الأوروبيين عام 1952.¹⁷

ورغم الإجراءات الهادئة التي قدمتها السلطات الفرنسية للمستوطنين لإعادة بناء المناطق الريفية التي خصصتها للمستوطنين ، وفي إطار الجهود الرامية الى تنمية هذه المناطق وتشجيع الاستيطان الفرنسي فيها. وبسبب الخوف من سيطرة الجزائريين على الوضع لم تجد هذه السياسة صدى واسعا بين المستوطنين ، واستمرت الزيادة الطبيعية للسكان الجزائريين في الارتفاع ، وهو ما سلاحظه لاحقاً.

وهكذا فإن الوضع الديمغرافي الأوروبي ، في ظل النمو الديمغرافي الكبير للجزائريين والنمو الأوروبي البطيء ، خلق شرخاً في العلاقات بين المجتمعين من حيث الرؤى الاقتصادية أو السياسية للوضع في الجزائر ، مما شكل تحذيراً من الوضع الذي كان من المتوقع أن ينفجر في وقت لاحق. ورغم ذلك ، لم تحظ هذه السياسة بتأييد كبير بين المعمرين ، وظل عدد السكان الجزائريين ينمو بسرعة ، وهو ما سنتحدث عنه لاحقاً.

2- السكان الجزائريون:

1.2.1 التطور الديمغرافي للسكان الجزائريين:

تضاربت الإحصائيات حول عدد سكان الجزائر ، حيث يشير حمدان بن عثمان خوجة بأن عدد سكان الجزائر كلها لم يتعد عشرة ملايين نسمة¹⁸ ، بينما ناصر الدين سعيدوني يؤكد أن عدد السكان في المدن والحواسر ما بين ثلاثة ملايين وثلاثة ملايين ونصف¹⁹

17 Mohamed HARBI, The War Begins in Algeria, 1954, La Mémoire du Siècle, 1st edition, Complexe Edition, Brussels, Belgium, 1984, p. 82.

18 حمدان خوجة ، المرأة ، تح: محمد العربي الزبيري ، الشركة الوطنية النشر والتوزيع ، الجزائر 2005 ، ص 13.

19 أحميدة عميراي ، آثار السياسة الاستعمارية والاستيطانية على المجتمع الجزائري (1830-1954) ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ، الجزائر ، 2007 ، ص 10.

أُجري أول إحصاء للسكان في الجزائر سنة 1856، وقد بلغ عدد السكان أكثر من 2307349 نسمة²⁰ دون حساب سكان منطقة القبائل والصحراء لأن منطقة القبائل لم تحتل إلا سنة 1857 أما الصحراء فلم يتم إحصاء كل سكانها، واقتصرت الإحصاء على منطقتي ورقلة وعين الصفراء.

والملاحظ أن عدد السكان شهد تراجعاً كبيراً خلال هذه الفترة نتيجة الحروب والمقاومات الشعبية ضد جيوش الاحتلال، فضلاً عن تفشي مرض "الكوليرا" عام 1867 والمجاعة التي ضربت البلاد في موسم (1868-1869)، حيث تعرضت المناطق الشمالية للجزائر إلى العديد من الأمراض والأوبئة، بالإضافة إلى الكوارث الطبيعية. كما تعرض المنتج الفلاحي لتدهور رهيب بسبب الجراد، مما أسهم في وفاة أكثر من 500000 جزائري نتيجة المجاعة.²¹

أما بالنسبة للزيادة الطبيعية في عدد السكان الجزائريين، فقد شهدت تقلبات كبيرة، حيث بلغت 3% خلال الفترة من 1872 إلى 1886²² وذلك بعد حساب عدد المهاجرين الجزائريين في فرنسا، وهذه النسبة في حد ذاتها، نسبة عالية جداً بالمقارنة مع نسب الزيادة الطبيعية الأخرى في العالم.

وتجاوز عدد السكان الجزائريين خلال قرن من الزمن، كل التوقعات رغم أن الإحصاءات السكانية السابقة، التي جرت في القرن التاسع عشر ميلادي لم تكن دقيقة، بل كانت احتمالية في مجملها، وقد أظهرت إحصاءات سنة 1954 عدداً قدره 8486000 نسمة، مما يمثل زيادة قدرها 6339330 نسمة خلال أقل من قرن (98 سنة).

والملاحظ أن الزيادة الطبيعية لدى الجزائريين تختلف كثيراً عن الزيادة التي كان يشهدها الأوروبيون في الجزائر. فقد انطلق الجزائريون بنسبة أقل من نسبة المواليد لدى الأوروبيين، حيث بلغت النسبة 272 مولوداً حياً لكل عشرة آلاف ساكن عام 1910. وتطورت هذه النسبة بسرعة لتصل في فترة 1931-1936 إلى 332 مولوداً حياً لكل عشرة آلاف ساكن، وبلغت ذروتها سنة 1947 حيث بلغت 451 مولوداً لكل عشرة آلاف ساكن. ثم استقرت النسبة في حدود 432 مولوداً سنة 1954، وهي نسبة تعادل ضعف نسبة المواليد الأوروبية.²³

20 JEANSON, Colette et Français, L'Algérie hors la loi, 2e édition, Éditions du Seuil, Paris, 1955, p. 156.

21 BRIEL, J., op. cit., p. 30.

22 Ibid. p. 30-31.

23 C.R. Ageron, op. cit. p56

وإذا ما قارنا هذه النسبة ببعض النسب التي سجلتها بعض الدول الأخرى في العالم ، فإننا نجد أن النسبة في فرنسا تعادل 18.7% ، وفي اليابان تفوق 21.5% ، وفي الولايات المتحدة الأمريكية لا تتجاوز 15.4% ، وفي تونس 24% ، وفي مصر 21.6% ، أما في المغرب الأقصى فقد تجاوزت 19% . الجزائر هي البلد الوحيد ، حسب النشرة الديموغرافية السنوية للأمم المتحدة لسنة 1953 ، التي وصلت نسبة المواليد فيها إلى 40.6% .

وكنتيجة لها سبق ، فقد جعلت كثرة المواليد الجزائريين بلدًا فتنيًا ، حيث يُمثل أكثر من نصف سكانه 53% منهم أقل من عشرين سنة ، و5% فقط منهم كانوا أكثر من 60 سنة . ومن ثمة فإن 100 طفل يقابله حوالي 94 شخصًا فاقوا العشرين سنة.²⁴

أما فيما يخص التوزيع الجغرافي للسكان الجزائريين ، فقد تحكمت فيه عدة عوامل بيئية واجتماعية وسياسية ، وأخرى عسكرية . فقساوة الطبيعة أرغمت عددًا من السكان على الاستقرار في المناطق الأكثر عطاءً ، رغم سياسة اغتصاب الأراضي التي انتهجتها الإدارة الاستعمارية ، حيث أرغم السكان الجزائريون على الانتقال إلى الأراضي الفلاحية التي استغلها المعمرون ، حيث عمل بعضهم كخماسين ، والبعض الآخر كأجراء . أما اجتماعيًا ، سعى السكان الجزائريون إلى الاستقرار في المناطق الأكثر هدوءًا وأمنًا ، وهي المناطق التي كانت في أغلبها أهلة بالسكان الأوروبيين لتمتين العلاقات فيما بينهم ، حتى وإن كانت السيطرة فيها للكولون .

كما خضع هذا التوزيع لظروف سياسية ، حيث تم تجميع أغلب السكان الجزائريين وفقًا لمخطط السياسة الاستعمارية في المناطق التي كانت تحتاج إلى يد عاملة رخيصة ، وإن اقتضى الأمر يتم إجبارهم على ذلك . والملاحظ هنا أن المناطق التي تتواجد بها الحاميات العسكرية الفرنسية كانت تتوفر أيضًا على عدد كبير من اليد العاملة الجزائرية لحاجتها الماسة إليها.²⁵

لقد توزع السكان الجزائريون عبر القطر الجزائري توزيعًا جغرافيًا تحكمت فيه هذه الظروف ، ولذلك نلاحظ تواجدهم بأعداد كبيرة في المناطق الشرقية ، بينما يقلون في المناطق الغربية . كما نلاحظ أن هؤلاء السكان قد عرفوا تطورًا كبيرًا في المناطق الحضرية ، نتيجة لهجرتهم المكثفة إلى البلديات الحضرية وبعض المدن الكبرى ، وكذلك النمو الديمغرافي المضطرب الذي شهدته الجزائر في تلك الفترة .

فقد عرفت مدينة الجزائر وضواحيها تواجد 293 ألف ساكن جزائري سنة 1954 ، بعدما كان عددهم لا يتجاوز 226 ألف نسمة سنة 1948 ، في حين بلغ عدد سكان مناطق وهران من

24Ibid. p. 121.

25 JEANSON, C. et F., op. cit. p. 157.

الجزائريين سنة 1948 حوالي 91 ألف نسمة ، وتجاوزت 131 ألف نسمة سنة 1954. أما مناطق عنابة فقد بلغ عدد سكانها من الجزائريين سنة 1954 أكثر من 66000 مقيم ، أي بزيادة قدرها 10000 مقيم مما كانت عليه سنة 1948. وفيما يخص عمالة قسنطينة ، فقد بلغ عدد سكانها أكثر من 103000 جزائري سنة 1954 بعدما كان لا يتجاوز 77000 جزائري سنة 1948.²⁶

وإذا كان عدد السكان الأوروبيون قد توقف عند رقم 709000 أوروبي مقيم بالمدن طوال فترة (1936-1948)، فإن عدد سكان الجزائريين شهد تطوراً كبيراً خلال هذه الفترة بالذات ، إذ تعدى عددهم 722000 جزائري. وبهذا فإن هذا الانتقال المتواصل للجزائريين نحو المدن قد امتص ثلث الزيادة السكانية. ومن جهة أخرى ، فإن هذه الظاهرة تمثل اتجاهاً جديداً سيسلكه الجزائريون من أجل اقتحام المراكز الكبرى ، بعد أن حدثت القطيعة معها سنة 1830.

وأكد إحصاء 31 أكتوبر 1954 هذا الأمر ، حيث وصل عدد السكان الجزائريين المقيمين في البلديات الحضرية في كامل القطر الجزائري إلى أكثر من 1397536 جزائرياً ، مقابل 760402 أوروبي. ورغم التفوق الكبير الذي كان لصالح الأوروبيين قبل هذا التاريخ ، فإننا نلاحظ أن عدد السكان بالمناطق الحضرية قد عرف تضاعفاً بنسبة أربع مرات خلال الفترة الممتدة بين 1886 إلى 1954 ، في حين تضاعفت نسبة السكان في الأرياف خلال نفس الفترة.²⁷

إن سكان الجزائر ، سواء من الجزائريين أو الأوروبيين ، قد توزعوا في الجزائر توزيعاً متذبذباً ، وهذا ما يؤكد الإحصاء السابق الذكر الذي أعطى الأولوية لمناطق الجزائر بنسبة 57 ن/كم². وتمثل مدينة الجزائر في هذا الإطار مثلاً حياً عن قوة الكثافة السكانية بها ، إذ تعدت نسبة الكثافة فيها 473 ن/كم². وكانت أعلى نسبة كثافة في مقاطعة الجزائر المركزية بحي "القصبة العتيق" ، الذي فاقت كثافته السكانية 4000 ن/كم² ، وكل سكان الحي كانوا من الجزائريين. وتعدت النسبة 32 ن/كم² بمناطق وهران ، أما في مدينة وهران فقط ، فقد وصلت الكثافة إلى 142 ن/كم². وفي مناطق قسنطينة ، وصلت النسبة إلى 39 ن/كم² ، وبالمدينة نفسها ، تعدت النسبة 92 ن/كم². أما في مناطق الجنوب ، فكانت الكثافة السكانية ضعيفة جداً ، إذ لم تتعد 4 ن/كم². وإذا أخذنا مدينة توفرت كمثال على مدن الجنوب ، فإن هذه المدينة قد عرفت ، بالمقارنة مع المدن الصحراوية الأخرى ، تجمعا سكانياً مقبولا ، بدليل أن الكثافة السكانية فيها قد وصلت إلى 12 ن/كم².

26 BREIL, J, op. cit , p ,38

27 BREIL, J , op . cit , p , 38.

إن هذه الأرقام الإحصائية للسكان الجزائريين والأوروبيين على حد سواء ، ستكون من أسباب التأثير على العلاقات الاجتماعية بينهما ، فالكثافة السكانية للجزائريين لم تكن في حقيقة الأمر سوى رقم معنوي في تفوقه على الأوروبيين ، لأن مفاتيح الحكم والسياسة بقيت دائماً في يد الطبقة الأوروبية رغم قلتها ، ولم تُمنح أية فرصة للسكان الجزائريين لتحقيق طموحاتهم ولو بصورة جزئية.

2.2 المستوى المعيشي للسكان الجزائريين بالجزائر:

عانت الجزائر مأساة اجتماعية حقيقية بسبب تدني مستوى المعيشة ، الذي أصاب معظم السكان الجزائريين ، حتى أصبح الفقر شعباً يخيم على واقعهم طوال الوقت ، فكان همهم الوحيد هو توفير القوت اليومي لعائلاتهم. فكان سكان الريف يعيشون على الخبز والماء فقط ، ويكتسبون بالثياب البالية والرتة. وقد وصف أحد المؤرخين من تجاوزوا الفقر المدقع على النحو التالي: "يسبحون بحمد المعمر الأجنبي الذي يسمح لهم بسقي أرض الأجداد بالعروق والدموع ، فتخرج لهم من طياتها ما يثريهم"²⁸.

كانت حياتهم قاسية وبسيطة تماماً ، وأغلبهم يكتفون وهم مكرهون بالماء وخبز الشعير. وبالنسبة لمعظمهم ، فإن الكسكس واللحم يعتبران من أطعمة الأغنياء فقط. إن هذه الأجساد التي أضعفها نقص التغذية قد فقدت الكثير من التوازن من حيث الطبيعة الفيزيولوجية. واستمر الوضع على هذا النحو حتى بداية حرب التحرير.²⁹

وقد أثبتت الدراسة التي قام بها أجرييت (Ageriet) سنة 1948 أن حوالي 60% من العائلات البدوية كانت تعيش فقراً مدقعاً وكاملاً. وكانت الإدارة الفرنسية في الجزائر نفسها تصنف العمال الفلاحين على أنهم فقراء اجتماعيون. وبالتالي ، لم تستطع الجزائر توفير الغذاء لأكثر من نصف السكان ، وذلك بسبب السياسات الاقتصادية والاجتماعية التي اتبعتها الإدارة الفرنسية في الجزائر والتي كانت موجهة لصالح المستوطنين. لأن الجزائر ، وهذه حقيقة معروفة ، كان بإمكانها أن توفر الغذاء لشعبها لو تم انتهاج سياسة اقتصادية مبنية على قاعدة صلبة في الجزائر ، تكون عادلة في توزيعها. فهي كانت ، وهذا ما أثبتته

28 محمد العربي الزبيري ، الثورة الجزائرية في عامها الأول ، الطبعة الأولى ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 ، ص 42.

29 جيلالي صاري ، محفوظ قداش ، المقاومة السياسية 1900-1954 ، الطريق الإصلاحي والطريق الثوري سلسلة "الجزائر في التاريخ" ، رقم 5 ، ترجمة بن حراث عبد القادر ، الطبعة الأولى ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1987 ، ص ص 209-210.

التاريخ ، "مطمورة روما" ومصدرة الطعام إلى أوروبا. فكيف تحولت في وقت قياسي إلى بلد يعاني الجوع والبؤس؟³⁰

يصف أحمد مزغنة³¹ ، أحد مناضلي الحركة الوطنية الجزائرية وأحد رموزها في المجال السياسي ، مظاهر الظلم الاقتصادي الذي عانت منه الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي فيقول: "يكفي أن يمر الإنسان بشارع "دي لالير" بالقصبة مساءً ، ليرى المئات من المتسولين يقفون على جوانبه ، ويشاهد جماعات من الرجال والنساء والأطفال والعجائز تخيم عليهم الفاقة ، ويسيطر عليهم الخوف من الموت. وقد اندفعوا إلى المدن يقاتلون القوط والكلاب على نفايات الطعام ، ليدرك جيدا المأساة الإنسانية التي لا تصدق والتي يمثلها الفرنسيون على مسرح الجزائر".³²

أما دخل الفرد الجزائري فكان يُعتبر من أدنى المداخل المعروفة آنذاك في العالم ، وكانت القاعدة الأساسية بالنسبة للأجور هي إعطاء العامل الجزائري أقل ما يمكن ، خاصة في المنطقة الفلاحية ، حتى يزداد المستعمرون ثراءً الجزائريون فقرا. لأن الاستعمار كان يقوم على سياسة التفتير.

3- العلاقات الاجتماعية بين المستوطنين والسكان الجزائريين:

"إن الترجمة الحرفية لكلمة "كولون" تعني "المستعمر" أو "المستوطن" ، لكن هذه الترجمة لا تعكس تمامًا المعنى الحقيقي لهذه الكلمة. فالمستوطن في الجزائر كان يتمتع بخصائص ومواقف سياسية وامتيازات جعلت من ارتباطه بمفهوم "الاحتلال" و"الأرض المحتلة" و"الاستعمار". ليس من الصدفة³³. كان المستوطن شخصًا عنصريًا لا يؤمن إلا بالفردية بسبب نفسيته ، بالإضافة إلى مشاعر الحقد الديني التي كانت تهيمن على الفرد المسيحي تجاه المسلم. فإن المستوطن الذي جاء إلى الجزائر كان يعيش حالة من القهر النفسي بسبب المعاناة التي عاشها في أوروبا. من هنا ، يجب التأكيد على أن الرحلات

30 جولييان، شارل اندري، إفريقيا الشمالية تسير القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية، ترجمة المنجي سليم وآخرين، الطبعة الأولى، الدار التونسية للطبع، تونس، 1976، ص 56.
31 ولد "أحمد مزغنة" بالبلدية في 1907/04/29 ، عمل اسكافيا ثم عاملا بالجزائر العاصمة أنضم إلى "نجم شمال إفريقيا" E.N.A في 1933 ، شارك في المؤتمر الإسلامي في جوان 1936 ، ثم عضوا في لجنة حزب الشعب الجزائري واعتقل خلال الحرب العالمية الثانية ، عضو المكتب السياسي لحزب الشعب في أبريل 1945 ، ثم مندوب العاصمة في انتخابات نوفمبر 1946 ، كان دائما إلى جانب مصالي الحاج
32 جوان غليسي ، الجزائر الثائرة ، ترجمة خيرى حماد ، الطبعة الأولى ، منشورات الطليعة ، بيروت ، لبنان ، 1961 ص 90.

33 إيفه بريستير ، في الجزائر يتكلم السلاح ، نضال الشعب من أجل التحرير ، ترجمة عبد الله كحيل ، الطبعة الأولى ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، الجزائر ، 1989 م ، ص 343.

الأولى إلى الجزائر لم تكن محملة بالأثرياء من أوروبا ، بل بالمغامرين الذين كانوا يطمعون في الثروة. وقد احتل هؤلاء الأشخاص مناصب سياسية ومراكز رفيعة في الإدارة الاستعمارية في الجزائر.

إذا نظرنا إلى سكان منطقتي "الآلزاس" و"اللورين" الذين هاجروا إلى الجزائر بعد هزيمة فرنسا أمام بروسيا (ألمانيا) عام 1870 ، نلاحظ أنهم جلبوا معهم عاداتهم السلبية وكراهيتهم العميقة للألمان باعتبارهم السبب في مأساتهم. لقد وصلوا إلى الجزائر حاملين هذا العداء ، ليجدوا أمامهم أراضٍ واسعة وشعباً جزائرياً ، فصبوا عليه مشاعرهم السلبية التي حملوها من وطنهم. وكان "آدموند نايجلان" ، الحاكم العام للجزائر ، الذي خلفه "لايف شانتينيو" ، ينحدر من منطقة "الآلزاس".

من الصعب على المستوطن الأوروبي أن يتفهم وجود حقوق أخرى غير حقوقه في الأراضي المحتلة ، وأن سكان هذه الأراضي ليسوا سوى شعباً خُلق للعبودية وفقاً لرغباته. وكثيراً ما كان المستوطنون يصرحون بأن الشعب المستعمر غير قادر على تحسين أوضاعه أو الخروج من أزماته ، أو على قبول العلم وحضارة الأمم المتقدمة ، ما لم يبذل هؤلاء المستوطنون بعض الجهد لرفع مستواهم الفكري والثقافي. كانوا يعتقدون أنه لا فائدة من الاستماع إلى شكاوى هؤلاء أو الاهتمام بتكاثرهم ، رغم أن هذا التكاثر كان يتزايد بشكل مضطرب وسط فقرهم.³⁴ لم تكن لنتائج الاستثمارات الضخمة في الجزائر تأثير ملموس على القطاع الزراعي ، رغم أنه يشغل فيه أغلبية السكان ، ولذلك لم تتمكن الطبقات الشعبية من فهم تصريحات الحكام الفرنسيين الذين تحدثوا عن تضحيات فرنسا من أجل تحسين مستوى معيشة الجزائريين.³⁵

إن العلاقات الاجتماعية التي كانت تربط المستوطنين بالسكان الجزائريين كانت قائمة أساساً على المصلحة المادية ، ولم يكن هناك مجال للحديث عن حاجة متبادلة أو مساعدات بين الأوروبيين والسكان المحليين. كانت العلاقة بين المستعمر والمستعمر مادية بحتة ؛ فالمستعمر كان يمتلك السلطة بينما تحول الجزائريون إلى مجرد وسائل للإنتاج. الاستعمار كان دائماً مصحوباً بالعنف والظلم ، حيث نشأت بين المستوطنين والمستعمرين علاقة استغلال بالقوة وفرض السلطوية بطريقة عنيفة.³⁶ وعليه يرى الجنرال

³⁴ نفس المصدر ص 22، 23.

³⁵ JEANSON, C. et F., op. cit., p. 175.

³⁶ Antoine ARGOUD, La décadence, l'Imposture et la tragédie, édition Fayard, Paris, 1974, p. 98

كاترو، الخبير في الإدارة الاستعمارية الفرنسية في كتابه "في معركة البحر الأبيض المتوسط"، أن هؤلاء المستوطنين كانوا يعيشون وفقاً لغرائزهم أكثر من عيشهم وفقاً لمقتضيات العقل والمثل العليا.³⁷

عمل المستوطنون على وضع خطة محكمة لتنظيم علاقاتهم مع الجزائريين من خلال سن قوانين تهدف إلى تكريس مصالحهم. وفي هذا السياق، احتكرت الأقلية الأوروبية السلطة بالكامل، ولم تسمح لأي من المثقفين الجزائريين بالمشاركة في إدارة شؤون البلاد، كما كان الحال في "تونس" أو "المغرب". بل تجاوزت الأمور ذلك إلى حرمان الجزائريين من أبسط حقوقهم في وطنهم.

إن العلاقات الاجتماعية التي نشأت في الجزائر بين المستوطنين والسكان الجزائريين كانت تسير وفق أهواء وحاجات الأقلية الأوروبية، فهي لم تتعدّ إطلاقاً فكرة سلطة الغالب على المغلوب، وتطبيق قاعدة أن المنتصر له الحق الكامل في التصرف في حياة المهزوم. وفي هذا الإطار، يتساءل المؤرخ "بيير لافون" (Pierre Laffont) كيف لم يدرك هؤلاء الأوروبيون أن العلاقات الاجتماعية لا تتوحد إلا بالتحرك الجاد، أي بواسطة فهم الحاجات وإدراك الإرادة المتبادلة بالمساعدة، لأن الأقلية الأوروبية لم تحاول إطلاقاً إدراك مطالب أهل الجزائر، حيث قامت بقتل روح التفكير لديهم. فهم كانوا عنصريين أكثر بكثير من عنصرية الفرنسيين في فرنسا تجاه الجزائريين الذين رحلوا نحو فرنسا بحثاً عن العمل.

وفي هذا الصدد، كتب عنهم الكاتب الفرنسي "جان دانيا" (Jean Danyas) في الصحيفة الفرنسية المشهورة "الإكسبريس" L'Express في صيف 1955م، حيث قال: "إن المستوطنين في الجزائر يشتركون مع سكان الولايات المتحدة الأمريكية الجنوبيين في أكثر من صفة، فهم يرون، مثلهم، أنهم خلقوا ليكونوا سادة، وليكون غيرهم عبيداً، وأن أية محاولة لتغيير هذه الفروق غير الطبيعية تعتبر عملاً يستهدف نشر الفوضى. إن العطف على الخدم لا يكون إلا إذا أظهر هؤلاء العبيد رغبة في البقاء دائماً ضمن إطار العبيد والخدم".³⁸

ويشارك معه في هذا الرأي عدة كتاب ومؤرخين آخرين، منهم "هنري ليف" (Henri Lév) "دانيال قيران" (Daniel Guérin) و "عمار بوحوش" الذي يقول عنهم: "وتماشياً مع هذه السياسة التي كانت تشبه إلى حد ما سياسة المستوطنين البريطانيين في الولايات المتحدة الأمريكية الذين انفصلوا عن بريطانيا وحاربوها وانتصروا عليها يوم أرادت أن تفرض عليهم قوانينها، فإن المعمرين الأوروبيين، وهم خليط من عدة أجناس،

³⁷ غليسي، المصدر السابق، ص 24.

³⁸ غليسي، المصدر السابق، ص 24.

قد وطّدوا علاقاتهم الاقتصادية والسياسية مع الشخصيات المرموقة في فرنسا ، وانتقلوا إلى عزل الشخصيات الجزائرية عن فرنسا".³⁹

ومن هنا ، فإن أسس العلاقات الاجتماعية بين المستوطنين والسكان الجزائريين قد بُنيت وفق مبادئ وأعراف الإدارة الاستعمارية التي تتمثل في تثبيت الاستيطان الدائم والاستغلال المتواصل للأرض ، باعتبارها الوسيلة الوحيدة التي يجب امتلاكها في إطار ما يعرف بالاستعمار الناجح للشعوب ، وذلك انطلاقاً من سياسة الجنرال "بيجو" التي باشروا منذ سنة 1840. وقد شرح هذا المنظر فكرته للإدارة الفرنسية ، وحثها على تشجيع الهجرة الأوروبية نحو الجزائر لامتلاك أغلب الأراضي الخصبة ، التي كانت في يد السكان الجزائريين الذين كانوا يمتلكون هذه الأراضي أبا عن جد ، دون وثائق إدارية أو إثباتات خطية. وهذا ما سهل مهمة النازحين الجدد إلى الجزائر في امتلاكهم هذه الأراضي بفضل وسائل الترهيب.

. واستعملت الإدارة الاستعمارية عدة وسائل من أجل ضمان سيطرة المستعمرين على الوضع في الجزائر ، وكانت ترى أن الوسيلة الوحيدة لضمان بقاء هذه السيطرة هي سد كل الأبواب التي من شأنها أن تحسن من حالة الفرد الجزائري⁴⁰ ، ولذلك ، سعت الإدارة الاستعمارية إلى منع أبسط الحقوق الاجتماعية عن الجزائريين.

إن الحديث عن المساواة والعدالة في الجزائر في تلك الفترة كان من ضرب الخيال ، لأن عدد المواطنين الجزائريين ، من الأهالي أو المندمجين بعبارة أدق ، لم يتجاوز فعلياً العشرين ألف نسمة. لذلك ، حتى لو تم تطبيق قانون الجزائر لعام 1947 حرفياً ، فإن القيد لم ينكسر ، خاصة وأن المستعمرين كانوا يسيطرون على الساحة السياسية في فرنسا وعلى الجهاز التنفيذي في الجزائر⁴¹ ، ورغم وضوح مواد هذا القانون الذي حاول إحداث بعض الإصلاحات الشكلية ، ومنها إلغاء البلديات المختلطة والمناطق الخاضعة للحكم العسكري في الجنوب ، وفصل الدين عن الدولة ، والإقرار بالسماح بتدريس اللغة العربية ، فإن شيئاً من هذه القوانين لم يُطبق.

إذا ما نظرنا إلى صورة هذه العلاقات من جانبها الاقتصادي ، مثلاً ، ونظرنا إلى كيفية توزيع السكان العام عبر القطاعات الاقتصادية الحيوية للبلاد سنة 1954 ، لوجدنا أن

39عمار بوحوش ، سياسة الإدماج ومصادرة الأراضي في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر ، مقال بالمجلة التاريخية المغربية للعهد الحديث والمعاصر ، عدد 12 جويلية 1978 ، تونس ، ص225

40ابن العقون ، عبد الرحمن بن إبراهيم ، الكفاح القومي والسياسي من خلال المذكرات معاصر ، الفترة الثالثة 1947-1954 ، الطبعة الأولى ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1986 ، صفحة158.

41محمد العربي الزبييري المرجع السابق ، صفحة 30

الكولون يسيطر بشكل كبير على هذه القطاعات ويحتكرها لمصلحته الخاصة ولمصالح الاحتلال الفرنسي ، في الوقت نفسه الذي عمل فيه على إبعاد الجزائريين عن هذه القطاعات الاقتصادية التي كانت بالنسبة للمستعمرين الأوروبيين منطقة صيد محرمة على الجزائريين فقط..⁴²

وخلاصة القول ، إن عدم فهم الحاجيات وإهمال المساعدات المتبادلة قد عطل دفع عجلة التواصل الاجتماعي ، وأجهض نهائياً فكرة خلق مجتمع أوروبي بالجزائر ، مبني أساساً على مفاهيم التعايش الإيجابي والاحتكاك الاجتماعي. وهذا ما أدى إلى إحداث شرخ كبير بين روح الحضارة الإسلامية وروح الحضارة الغربية في الجزائر ، لأن الصراع الذي كان في الجزائر لم يكن أساسه سوى صراع حضاري بين شعبين لهما مفاهيم وعقائد حضارية مختلفة ، نشأت على التنازع والتنافر منذ أن وطئت أقدام الفرنسيين أرض الجزائر.

الخاتمة:

وكخلاصة لكل ما سبق ذكره ، يمكن الخروج بالنتائج التالية:

✓ حاولت فرنسا منذ بداية استعمارها للجزائر نقل الحياة الأوروبية بوسائلها وهياكلها إلى الجزائر ، من خلال تشجيع عدد كبير من الأوروبيين على الهجرة إليها. ففتحت باب الهجرة والاستيطان أمام مختلف الجنسيات من أوروبا.

✓ رغم مظاهر الهيمنة والتوتر ، لم تكن العلاقات بين الطرفين عدائية دائماً ، حيث نجد بعض المناطق شهدت تعايش محدود خاصة في المدن الكبرى ، حيث خلقت الضرورة الاقتصادية والتبادل اليومي نوعاً من الاحتكاك الاجتماعي ورغم ذلك بقي هذا التعايش هشاً يتميز بعدم المساواة.

✓ إن الوضع المتدهور للجزائريين ، قابله من جهة أخرى تطور مذهل لمستوى معيشة الأوروبيين ، ومعه لم يجد السكان الجزائريون مكانهم ضمن المجتمع الأوروبي المتميز. لذلك كانت المطالب الاجتماعية وبالأخص تحسين الظروف الاجتماعية والمعيشية العامة ضمن المطالب التي كانت تتقدم بها الأحزاب السياسية الجزائرية في برامجها.

✓ إن اللا مساواة المتزايدة التي ظهرت بين الشعبين الأوروبي والجزائري ، كانت سبباً كافياً للقطيعة التي بدأت تظهر تدريجياً. فإذا قارنا بين مستوى معيشة الجزائريين ومعيشة السكان الأوروبيين ، فإن السكان الجزائريين قد يفقدون الأمل في المقاومة ، ولكنهم بالمقابل سيشعرون حتماً بسيطرتهم على الوضع من حيث الأرقام الديمغرافية. سيدركون أيضاً أن الأوروبيين هم سبب تعاستهم وشقائهم ، وهذا ما زاد من حدة التنافر

42 عمار هلال ، كيف انطلقت الثورة في الأوراس ، مقال بمجلة «الثقافة» عدد 84 ، نوفمبر-ديسمبر ،

1984 ، وزارة الثقافة والسياحة ، الجزائر ، ص311

بين الشعبين. وأصبح ذلك الفلاح الجزائري البائس يشعر بأنه يمثل عنصراً قوياً في معادلة الحرب المتخفية بين الأوروبيين والجزائريين، وسيدرك أنه وكل الفلاحين الجزائريين مثله ثوار مخفيين يخفون ثورتهم في قرارة أنفسهم. وهذا ما اتضح خلال الثورة، حيث أصبح الفلاحون يشكلون جيشاً وتقلد بعضهم مسؤوليات عليا بعدما كانوا معدومين.

✓ كانت العلاقات الاجتماعية بين الجزائريين والمستوطنين انعكاساً لصراع حضاري بين مشروع استعماري قائم على الهيمنة والاستغلال والقهر، وحركة تحرر وطني سعت بكل قوتها إلى استعادة الكرامة والهوية والأرض.

✓ إن السياسة الاقتصادية والاجتماعية الفرنسية في الجزائر لم تخلف فقراً ومجاعة ومرضاً وانحطاطاً فكرياً فقط، بل خلفت إضافة إلى ذلك همم رجال قاموا فقالوا نعم للحرية، لا للظلم والاستبداد. فلم ينادوا برغيف خبز، بل نادوا: "تحيا الجزائر".

✓ رغم نيل الجزائر استقلالها ورحيل معظم المستوطنين لكن آثار الاستعمار لازالت محفورة في الذاكرة الجماعية الجزائرية، فقد خلفت الحقبة الاستعمارية ندوبا عميقة على مستوى الهوية الجزائرية، وظلت العلاقات الجزائرية الفرنسية مرتبطة بإرث الماضي مشحونة ومعقدة تتأرجح بين محاولات التصالح والتذكير الدائم بمآسي وجراح الاستعمار.

قائمة المراجع:

1. ابن العقون، عبد الرحمن بن إبراهيم، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصرة، الفترة الثالثة 1947-1954، الطبعة الأولى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986.
2. أحمد عمار، آثار السياسة الاستعمارية والاستيطانية على المجتمع الجزائري (1830-1954)، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.
3. بربستير ايفه، في الجزائر يتكلم السلاح، نضال الشعب من أجل التحرير، ترجمة عبد الله كحيل، الطبعة الأولى، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1989م.
4. بوحوش عمار، سياسة الإدماج ومصادرة الأراضي في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، المجلة التاريخية المغربية للعهد الحديث والمعاصر، تونس، عدد 12، جويلية 1978.
5. جوليان، شارل اندري، إفريقيا الشمالية تسير القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية، ترجمة المنجي سليم وآخرين، الطبعة الأولى، الدار التونسية للطبع، تونس، 1976.
6. حمدان خوجة، المرأة، تح: محمد العربي الزبييري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005.
7. الزبييري محمد العربي، الثورة الجزائرية في عامها الأول، الطبعة الأولى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
8. شرفي عاشور، قاموس الثورة الجزائرية (1954-1962)، دار القصة للنشر، 2007.

9. صاري جيلالي وقداش محفوظ ، المقاومة السياسية 1900-1954 ، الطريق الإصلاحي والطريق الثوري سلسلة "الجزائر في التاريخ" ، رقم 5 ، ترجمة بن حراث عبد القادر ، الطبعة الأولى ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1987.
10. غليسي جوان ، الجزائر الثائرة ، ترجمة خيري حماد ، الطبعة الأولى ، منشورات الطليعة ، بيروت ، لبنان ، 1961.
11. هلال عمار ، كيف انطلقت الثورة في الأوراس ، مقال بمجلة «الثقافة» عدد 84 ، نوفمبر-ديسمبر ، 1984 ، وزارة الثقافة والسياحة ، الجزائر.
12. AGERON , Charles-Robert ,F rançais ,juifs et musulmans , L'Union impossible ,IN L'HISTOIRE ,n° 140 ,janvier 1991 ,Paris ,France.
13. ALBAERTINI (E), MARCAIN (G), YVER (G), PRIGENT (E), l'Afrique du nord française dans l'histoire, édition achat, Lyon, France.
14. ALGERIE, Quelques Aspects des problèmes économiques et sociaux, éditée sur l'instruction de Robert Lacoste, imprimerie officielle, Alger, 1956.
15. ARGOUD, Antoine, La décadence, l'Imposture et la tragédie, édition Fayard, paris, 1974.
16. Stora, Benjamin, Histoire de l'Algérie coloniale, Edition la découverte, Paris, 1994.
17. BRIEL, Jacques, Etude de démographie quantitative, Rapport du H.C.C, tome 2, la population en Algérie, document française, l'ère édition, imprimerie. National, Paris, France, 1957.
18. GENDARME, Rêne, l'économie de l'Algérie, sous-développement et politique de croissance, 1 ère édition, les capricines, Paris, France ,1960 .
19. HARBI, Mohamed, la Guerre Commence en Algérie, 1954, La Mémoire du siècle ,1ere édition, édition complexe, Bruxelles, Belgique, 1984.
20. Hureau, J, La mémoire de pieds noirs, édition Orban, Paris, 1987.
21. JEANSON, Colette et français, L'Algérie hors la loi, 2° édition, édition du seuil, Paris, 1955.
22. LAFFONT, Pierre, Histoire de la France en Algérie, 1 ère édition, librairie Plon, paris, France.
23. LARNAUDE, marcel, ALGERIE, 1ere Edition, Edition Berger Levraut, paris, France 1950.
24. LLAMO, R.C, EURALGERIE, 1ère édition, Paris, France.
25. NOUSCHI, André, La Naissance du nationalisme Algérien, 1914-1945, 1ere édition, éditions de Minuits, paris, France, 1962.